مغامرته ستكلف ثمنا دمويا فظيعا.. وقد يُشرك اسرائيل مرة اخرى أو الشرق الاوسط كله

حسن نصر الله يستعد لقلب الاوضاع في لبنان بتأييد من ايران وسورية وتحويلها لدولة شيعية وتحت الشريعة الاسلامية

■ في هذه الايام يُصرف حسن نصر الله واحدا من الاجراءات المدهشة التي تمت في الشرق الاوسط في العقود الأخيرة: انقلابا يُضاد التاريخ. انه لا يريد فقط اسقاط حكومة فؤاد السنيورة. هذا مال بخس. انه يريد جعل لبنان دولة شيعية، دولة شريعة اسلامية، وأن يرفع بذلك مكانة أبناء طائفته من أسفل المجتمع الى أعلاه. سبقه الى ذلك سابقة: فقد سادت العراق نخبة سنية صغيرة، أسقطها الامريكيون منذ زمن غير بعيد لجعل العراق دولة شيعية في أساسها.

هذا كفاح مغامر، لانه اذا فشل فان الطوائف كلها في لبنان، لكن الشيعة خاصة، ستدفع ثمنا دمويا فظيعا. بيد أنه يبدو أن نصر الله مستعد لهذا التحدي، ومن اجل ذلك ينوي في القريب أن يركب دوامة تفضي به الى الأعالي وهدفه رئاسة لبنان، أو أنها ستطرحه في مكان صحيح.

حلم كثيرون باحتلال لبنان، وقد علمت هذه الدولة الصغيرة والمعذبة خاصة الجميع حتى الآن أنها أقوى من كل متخبط في الأوهام. الحروب التي تشتعل فيها دائما تُعلم كل واحد حدود قوته، ونصر الله ينتظره هذا الدرس.

من اجل ان يحقق نصر الله رؤياه بدأ يتحرش أكثر فأكثر بالجيش الاسرائيلي الذي مكث في لبنان وباسرائيل. بعد انسحاب اسرائيل من لبنان ايضا في سنة 2000 واصل التحرش، لان نضال اسرائيل منح الشرعية دائما في العالم العربي. لكن اسرائيل في المرة الأخيرة أضرت به ضررا شديدا. صحيح، انه يدعي «نصرا إلهيا»، لكن اذا وجد نصر آخر كهذا فان قيادته ستتهشم داخل الجو اللبناني الخائف، الذي يفقد صبره.

والاسوأ من ذلك عند الشيعة، ان نضالهم الديني أثار المؤسسات الدينية السنية الضخمة في القاهرة وفي السعودية. في سلسلة من الفتاوى أدهشت العالم العربي ثار المفتيون السنيون الرؤساء بنضال حزب الله، رغم أن آخرين أيدوه.

في بداية ايلول (سبتمبر) من هذا العام خرج الثعبان من الجراب: فقد حذّر أحد مشاهير مُفتي العالم السني، الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، من «تغلغل المذهب الشيعي الى مصر». قرر القرضاوي أن نصر الله «متشدد أعمى» لاعتقاده ولمذهبه (الشيعي) في الاسلام، «رغم أنه أفضل من الخانعين الذين يهربون من المعركة»، مع تحذيره بصراحة من مجازر «كما في العراق» بين أهل السنة والشيعة، «اذا تم تغلغل كهذا في مصر». وأضاف في ضربة واضحة موجهة الى الأمين العام لحزب الله قائلا: «لا يخالف نصر الله غُلاة الشيعة، ونحن لا نستطيع تجاهل ذلك».

ان نصر الله وهو عالم بالأخطار، لكنه مؤيَّد بالتأييد المتملص لايران وبمباركة سورية مترددة، يخرج الى المعركة ليقلب وجه التاريخ: ليرفع من يوجد في الأسفل والعكس. في هذه الرحلة المجنونة قد يُشرك اسرائيل مرة اخرى أو الشرق الاوسط كله.

غي باخور
كاتب مستشرق
(يديعوت احرونوت) 2006/11/23

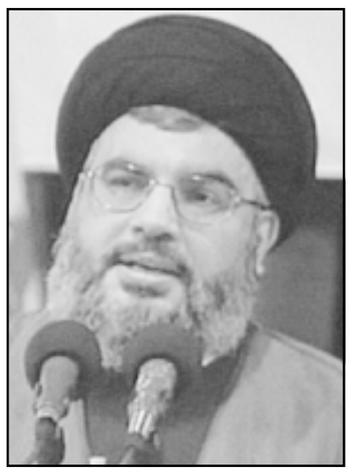
الشيخ حسن نصرالله

سديروت هي المرآة التي تنعكس فيها رغبة الوجود الاسرائيلية

ضعف اسرائيل وقيادتها يشجع نجاد وأمثاله على تهديدها

■ اسرائيلي باحث التقى مؤخرا مع أحد نظرائه في الولايات المتحدة. الامريكي سأله: من أين لك كل هذه السكينة والهدوء كي تواصل دراساتك في الوقت الذي تقوم فيه ايران بانتاج سلاح نووي من اجل إبادتك؟ لقد اعتدنا على ذلك ـ رد عليه الاسرائيلي. نحن نتوجه الى الحرب كل عدة سنوات، وبين الحرب والحرب نعيش حياتنا كالمعتاد.

هذا السلوك على ايجاد ردود على الارهاب في هذه المنطقة والعالم ـ كان ملائما للفترة الكلاسيكية من الحروب، ولكن الآن مع الذرة الايرانية يتوجب عليكم أن تتصرفوا بطريقة اخرى. أنتم تعيشون بطريقة تلائم الماضي. ولا تعترفون بالخطر، لدرجة أنني أخشى أن تسمحوا لايران بأن توجه لكم الضربة الاولى. في مطلع الاسبوع طالعنا محمود احمدي نجاد بتصريح، حظي هنا بشد الأكتاف، كاستمرار لحالة التنكر للواقع. نجاد قال انه لا يخشى بتاتا قيام اليهود بتوجيه الضربة الاستباقية. اسرائيل، حسب رأيه، ضعيفة ومنقسمة من الداخل، وليست لديها رغبة في القتال. الشخص الذي يُعد العدة لابادة اسرائيل صارحنا بالمعلومة الأساسية الموجودة لديه حول وضعنا. وللعلم، هذه كانت معلومة دقيقة فعلا. سلوكنا في السنوات الأخيرة، وخصوصا في الاشهر العابرة، أمد نجاد بفيض من المعلومات الجلية التي يمكن الحصول عليها بسهولة، حول ضعف الدولة اليهودية التي كانت قبل ثلاثة عقود قد ساعدت ايران في تطوير بنيتها التحتية والزراعية والصحية، وقامت بتسليح جيشها وتدريب وحداتها الخاصة.

الرئيس الايراني يحكم على قوة اسرائيل، ليس فقط بناء على الأماني الايديولوجية، وانما ايضا وفقا لبنية تحتية راسخة ـ كنتائج الحرب في لبنان مثلا. ها هو قائد فرقة اسرائيلي ينتصب ويصرح بأنه قد قاد تسعة ألوية واستخدم الدعم الجوي والمدفعي بصورة ناجحة. هذا القائد العسكري الذي يدعي أنه قد انتصر، لم ينجح مع قواته هذه باخضاع بضع مئات من المقاتلين الشيعة، ووزير دفاعه ورئيس وزرائه ايضا يدعيان انهما قد أحرزا الانتصار. احمدي نجاد يستنتج من كل ذلك أن اسرائيل تمر في حالة كبت ونفي شامل للواقع ولما سيحدث في المستقبل ايضا. ما حدث مع هذا الضابط الكبير الذي يدعي الانتصار يؤكد لاحمدي نجاد أن الجيش الاسرائيلي في الدرك الأسفل، وقد فقد حتى القدرة على استخلاص العبر كما يظهر من تصريحات هذا الضابط والمسؤولين عنه. وما هذه إلا لحظة مناسبة وسانحة.

الحرب في لبنان علمت نجاد ايضا ان السلطات العسكرية في اسرائيل غير جاهزة لتوفير الوسائل المطلوبة لمنع هجمة، خصوصا اذا كانت طويلة، على تجمعاتها السكانية. مليون مواطن اسرائيلي عاشوا تحت وابل الصواريخ طوال 33 يوما، ودولتهم لم تكن مستعدة لدفع الثمن المطلوب لتخليصهم من هذا الكابوس. اسرائيل التي حرصت حتى حرب الغفران على نقل الحرب وبقوة كبيرة الى ارض العدو، أصبحت دولة دفاعية مفتقرة للأمن.

وإن كانت لدى نجاد شكوك بصدد النهج الاسرائيلي ـ وفقا لما يحدث في النقب ـ بامكانه ان يتأكد من ان هذا النمط السلوكي مستديم ونمطي وليس فشلا يحدث لمرة واحدة. بلدة اسرائيلية في الجنوب تتلقى ثلاثة آلاف صاروخ طوال اكثر من ست سنوات والحكومة الصهيونية تخشى من القيام بما يتوجب عليها القيام به كما في لبنان. وإن كان الصهاينة يخشون من التصرف كما يجب لانه قد يُقتل في غزة المزدحمة عشرات المدنيين ايضا ـ فانهم، وبالتأكيد، لن يوجهوا ضربة استباقية لايران قد تؤدي الى قتل عشرات آلاف المدنيين. وإن كانت الحال كذلك، يقول احمدي نجاد لنفسه، فمن المتوقع اننا نحن الذين لا نملك الكوابح سنوجه للاسرائيليين الضربة الاولى. في عام 2007 سيعيش اغلبية يهود العالم في ارض اسرائيل. وعلى أمنهم تسهر حكومة دولة اسرائيل السيادية. وفقا لسلوكها وسلوك سابقاتها في السنوات الأخيرة تثور الشكوك ليس فقط لدى نجاد، بأنها قادرة على التصرف بمستوى الخطر الذي يلوح من ناحية ايران، وليس منها فقط.

بسبب الضعف الذي نُبديه، خصوصا منذ عام 2000، تزايدت دافعية ايران جدا لاخضاع اليهود مرة والى الأبد وفي دولتهم. وهذا هو جوهر ما قاله نجاد الذي يشكك في قدرة ورغبة الزعامة الاسرائيلية في منع الهجمة.

مواطنو اسرائيل ويهود العالم ملزمون بالشعور بالقلق الشديد من تصريحاته. وايضا من اخفاقات الحكومة والجيش في لبنان وفي سديروت التي زادت من دافعية احمدي نجاد. سديروت هي المرآة التي تنعكس فيها اليوم رغبة الوجود الاسرائيلية. وما يلوح من خلال هذه الصورة ليس مشجعا بتاتا.

يسرائيل هرئيل
كاتب يميني ومُنظر المستوطنين
(هآرتس) 2006/11/23

من واجب اسرائيل تقديم المساعدة للبنان.. وبدء المفاوضات مع سورية

مقتل بيار الجميل يضع معادلة القوى الهشة اللبنانية من جديد أمام امتحان صعب

■ مقتل وزير الصناعة اللبناني، بيار الجميل، يضع معادلة القوى الهشة اللبنانية من جديد أمام امتحان صعب، ذلك لأننا نتحدث من جديد عن جريمة قتل سياسي ـ ومثلها كان الكثير منذ وجود الدولة اللبنانية، إلا أن التخوف هو من احتمالية أن تكون كل عملية قتل اضافية ستُقرب لبنان أكثر فأكثر الى تجدد الحرب الأهلية التي ستخرج عن نطاق السيطرة.

لقد وقعت جريمة القتل في الوقت الذي كانت فيه حكومة فؤاد السنيورة في وضع كانت ستفقد فيه سيطرتها على الاحتفاظ بصلاحياتها، وبذلك تنجم عنه أجواء فراغ سياسي ـ مثل الذي يوجد حاليا في مناطق السلطة الفلسطينية وفي العراق. إن المثلثين المغلقين، المذكورين، يُظهران بوضوح وبجدية انه في حالة وجود فراغ سياسي ليس موجودا على الصورة الحقيقية، بل ان جهات وقوى متطرفة وارهابية هي التي تحاول بوجوده القفز الى مكان السلطة المنهارة.

ان لبنان ليس دولة كهذه حتى الآن، فهو لديه مؤسسات سلطة حاكمة وقوى سياسية تمتلك قوة كبيرة، التي تُعرف بفهمها ووعيها للقيم الديمقراطية، وتريد الاستمرار بالتمسك بها حتى تتمكن من إحداث التغيير. بل ربما تكون هي نموذجا فريدا من نوعه في الشرق الاوسط، فالدولة تعطي وبمبادرتها حقوقا متساوية لجميع أبناء الطوائف والأديان، وبذلك فهي تستطيع أن تكون نموذجا جيدا للمحاكاة.

كذلك، فان ردود فعل الجمهور المدني الواسع وفي الشارع حول مقتل الجميل، والتي تحاول بكل قوتها منع حدوث ردود فعل عنيفة، لا تدل على مدى الخوف من التردي الى الحرب الأهلية فقط، بل الى التطلع الى منعها ومنع حدوثها بكل ثمن. لذلك، يمكن الاعتقاد انه على الرغم من عملية القتل الأخيرة، وبعد مرور 15 عاما منذ انتهاء الحرب الأهلية، قد تم بناء وإرساء مؤسسات السلطة القوية فيها، وأن الاستعداد للمزيد من الخطوات الديمقراطية والاستعداد للتعاون القوي بين الطوائف والحركات السياسية.

ان الدليل على ذلك هو ان جميع القوى السياسية اللبنانية ليست مستعدة لتقبل المزيد من اعمال القتل كطريقة واسلوب مشروع لتحقيق المكاسب السياسية، ولكن لبنان، كما يبدو، لا يستطيع الوقوف وحده صامدا في هذا الاتجاه، وأنه بحاجة الى المزيد من الدعم الدولي الفعال. وقد أوضح رئيس الوزراء السنيورة يوم أمس الاول نوعية المساعدة الدولية المطلوبة: تشكيل محكمة قضائية دولية يمكنها الاسراع في محاكمة قتلة رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري، وامكانية التحقيق في مقتل آخرين. السنيورة يعتقد أن التردد في تشكيل هذه المحكمة الدولية هو الذي شجع على مقتل الجميل، واعتقادهم بأن كل شيء ممكن.

أما الجماعة الدولية التي أصبحت توظف الكثير من القوى والجهود لكي تحاول إشاعة الطمأنة ونشر الهدوء في لبنان في أعقاب الحرب اللبنانية، لا يمكنها البقاء صامتة وهادئة أمام مثل هذا الطلب. كذلك فانه لا يمكن لاسرائيل إظهار عدم الاهتمام وعدم القلق، إزاء ما يحدث في لبنان وإزاء هذه التطورات فيه: بالأساس ليس لانها لا تستطيع إحداث تغييرات سياسية في دولة مجاورة، ومن ثم اعادة تأجيج بؤرة حرب مرة اخرى معها. بل من الأفضل اقامة جدار فاصل وعال ومغلق ما بين الاهتمام المقلق بما يجري في لبنان وبين التدخل في شؤونه الداخلية. هذه لحظة حاسمة، حيث أن من واجب اسرائيل تقديم المساعدة للبنان لكي تهدئ من أعصابه وتوتره. وهذه تتمثل في وقف الطلعات الجوية الدورية في الأجواء اللبنانية، وكذلك الاعلان عن استعدادها للتباحث في موضوع الانسحاب من مزارع شبعا، بل ربما ايضا الاعلان عن الاستعداد للتباحث حتى مع الرئيس بشار الأسد حول المسيرة السياسية والتسوية التي يمكن ان تشكل دعما وإسهاما في تقليل وخفض احتمالية اندلاع المزيد من التطورات السلبية في لبنان.

أسرة التحرير
(هآرتس) 2006/11/23

لبنانيون يدوسون على ملصق للرئيس اللبناني ونظيره الايراني والسوري خلال تشييع جثمان بيار الجميل

اولمرت يتخذ بيرتس كبش فداء ليطرح عن نفسه المسؤولية عن المجيء بحل مجدٍ للنزاع مع الفلسطينيين

■ يُعرّف ايتان كابل كآخر مقربي عمير بيرتس. لهذا حظي توجهه الى بيرتس، ليخلي مكانه كوزير للدفاع لشخص آخر، بصدى كبير جدا. أوضح في لقاء مع رافي ريشف ماهية التوجه، بأن شعب اسرائيل يشعر بعدم الأمن، وعلى ذلك يجب على وزير الدفاع أن يخلي مقعده. يريد أن يقول أنه اذا ترك عمير بيرتس وزارة الدفاع فان الدماء ستعود الى وجوه سكان الدولة. سيشعر الناس في سديروت والكيبوتسات بجوارها بارتياح كبير، وسيرتاحون آخر الأمر من صواريخ القسام. هذه على التقريب ماهية الهجوم الكبير على عمير بيرتس، الذي يشرف عليه بنجاح غير قليل أفراد ديوان رئيس الحكومة، وعلى رأسهم اولمرت نفسه بالطبع.

قد يكون من الواجب على بيرتس أن يترك الدفاع، لكن الواضح تماما انه لا يوجد شيء سيتغير تغيرا جوهريا في إثر هذه الخطوة. اذا كانت الحال كذلك، فلماذا يجب عليه أن يترك؟ لأنني أنا ايضا أقبل جبال الوحل التي يرمون بها بيرتس من ديوان رئيس الحكومة. أسارع أنا ايضا الى تعزية نفسي بأمل أن هذا الشخص اذا ما مضى فقط مع معطف الريح الازرق، وجاء آخر مع معطف ريح بني، فسنعرف ما نفعل. سنجد حلولا عسكرية لوضع لا يوجد له حل عسكري. وكأن صواريخ القسام قد بدأت قبل ستة اشهر، عندما عُين بيرتس وزيرا للدفاع. وكأن وزير دفاع آخر، مع ماض عسكري غني، قد أتى بحلول.

يجب على اولمرت في كل صباح أن يستيقظ وأن يشكر عمير بيرتس. فبفضله فقط لا يسأل مواطنو اسرائيل ما الذي يفعله رئيس الحكومة لتغيير الواقع غير الممكن الذي دُفع اليه سكان غلاف غزة. انهم يرون بيرتس الآن المتهم الرئيسي. اذا ما مضى، فسينتقل اولمرت الى مقدمة المنصة كما ينبغي أن يكون. انه رئيس الحكومة، وهو الشخص الذي يجب عليه اعطاء إجابات وحلول. لكن كيف يستطيع هذا المسكين علاج الوضع عندما يوجد له وزير دفاع كهذا؟.

ولما كان لا يعالج الوضع، فانه يعالج وزير الدفاع. منذ ثلاثة ايام يشغل كثيرون في ديوان الرئيس انفسهم بالعيب على بيرتس، لانه تجرأ على التحدث الى أبو مازن، بغير علم اولمرت السابق. لا يستطيع العقل تصور هذه المفارقة. ما الذي حدث؟ لماذا الضجة؟ لماذا لا يستطيع وزير دفاع التحدث في وقف اطلاق النار، وهي قضية في مجال مسؤوليته تماما، وأن يأتي الى رئيس الحكومة بعد أن توجد عنده اتفاقات ومعطيات ليطلب مصادقته؟ انه قد تحدث فقط. اقترح فقط، وسمع مقترحات، وصاغ أجندة، في مكان لا يوجد فيه حتى ذكر لتلك الكلمة. من الواضح تماما أنه منذ هذه اللحظة فصاعدا، كل شيء في يدي رئيس الحكومة. اذا شاء فسيأخذ، واذا لم يشأ فلن يأخذ.

قد يكون الغضب الكبير، واشمئزاز اولمرت غير الممكن، نابعين من أن خطوة بيرتس كشفت عورته. فبيرتس، في الحصيلة، أوضح لمن هو مستعد للنظر وجود سبيل ايضا للتحادث مع الطرف الثاني، رغم الصياح العالي لديوان رئيس الحكومة، بأنه لا يوجد من يُتحدث اليه.

ليس واضحا لماذا يكون بيرتس مستعدا لاحتمال التهمة كلها عن فشل علاج صواريخ القسام. وليس واضحا كيف لا ينجح على الأقل في تقاسم هذا العبء مع الشخص الذي عينه لمنصبه. من الحقائق أنه لا ينجح. لهذا يجب أن يشير عليه بترك منصبه، لكي يدع شخصا آخر يفشل. يقوم الجيش الاسرائيلي اليوم بالضبط بما فعل قبل تعيين بيرتس وزيرا للدفاع. انه يسحق الفلسطينيين بالقصف المدفعي، ويُدخل قوات خاصة ذات خبرة في الساحة الغزية، ويحارب بتصميم وباخلاص المطلقين على اختلاف أنواعهم، بلا كلل، وبلا قنوط، ويحاول في كل سبيل ممكنة المجيء بهدوء لسكان سديروت وبلدات غلاف غزة.

هذا ما سيفعله الجيش الاسرائيلي ايضا اذا عُين وزير دفاع جديد. بالضبط. لانه لو كانت للجيش الاسرائيلي سبل اخرى لكان عمل بحسبها. لكنه لا يملك. ولن تكون له ايضا. هذه هي المرحلة التي يجب فيها على رئيس حكومة اسرائيل الدخول في صلب الأمر، وبدل أن يشغل نفسه بطرح الوحل على وزير دفاعه، عليه أن يأتي بخطة خلاقة لتحادث حقيقي مع أبو مازن، بمشاركة هنية. لن يحدث هذا لأن الحديث عن رئيس حكومة بغير رؤيا، وبغير طريق، وبغير حل. الشيء الوحيد الذي يقوم به بنجاح كبير هو جعل شعب اسرائيل يرى عمير بيرتس الرجل المسؤول عن جميع أزماته.

ياعيل باز ـ ملماد
كاتبة في الصحيفة
(معاريف) 2006/11/23

الغاية: وقف صواريخ القسام خلال اسبوعين

الجيش الاسرائيلي يشن عملية عسكرية شاملة في قطاع غزة دون الاعلان عنها

■ الجيش الاسرائيلي انهى اليوم الثالث من عملية عسكرية شاملة في قطاع غزة دون تصريحات او إنذارات، وسيكون في الامكان رؤية نتيجة هذه العملية، على حسب تقديرات متفائلة لمخططيها، خلال اسبوعين لا قبل ذلك.

تزيد العملية الحالية، التي تسمى «الدمج المناسب»، في سعتها على عملية «غيوم الخريف» التي تمت في بيت حانون قبل نحو ثلاثة اسابيع بيد أنه لا يعلن أحد اعلانا رسميا عن هذه العملية. قد يكون ذلك من اجل عدم إحداث توقعات وكي لا يقفوا للجيش مع ساعة توقيت ويعيدوا كل صاروخ قسام يسقط في سدروت رغم أن الجيش الاسرائيلي يمكث في القطاع.

حينما بحث المجلس الوزاري المصغر أمس خطط الجيش لوقف صواريخ القسام، كان الجيش الاسرائيلي قد نفذ جزءا كبيرا من المرحلة الاولى للعملية، وهي مرحلة «مد الشبكة». توغلت قوات مدرعة، وقوات من المشاة وقوات خاصة داخل شمالي القطاع، على اتساعه (نحو خمسة كيلومترات) والى عمق نحو ثلاثة كيلومترات وأكثر. وصلت القوات قريبا جدا من الأحياء الشمالية لمدينة غزة وهي موجودة شمالي بيت حانون وجنوبها.

في الواقع، مد الجيش الاسرائيلي شبكة من القوات الصغيرة (في البداية بمضاعلة الظهور) على جميع المناطق المفتوحة التي قد يستعملها المخربون لذلك. في الساعات الاولى أفضت هذه «الشبكة» الى نتائج: قُتل ثمانية مخربين، وأبلغوا في الجيش الاسرائيلي عن أنه لاول مرة قد اعتقل أسيرا، مطلق صاروخ قسام اختبأ في بيت في جباليا بعد الاطلاق.

ينوي الجيش دفع مطلقي صواريخ القسام عن المناطق المفتوحة الى مناطق بعيدة يصعب العمل فيها، كأحياء مأهولة يصعب تنفيذ اطلاق الصواريخ منها. في المناطق البلدية التي ستستعمل غطاء لمطلقي الصواريخ يستعد الجيش للعمل ايضا في أطر أكبر، باسلوب السيطرة على بيت حانون قبل نحو من ثلاثة اسابيع. ان «شبكة» القوات، مع قبضات جهدها التي خرجت منها الى المناطق المأهولة بكثافة، مرنة تلائم تطورات ممكنة. سيكون في الامكان شدها، وتقليلها، أو توسيعها ـ كل ذلك بما يلائم المعلومات الاستخبارية وردود العدو.

قيادة شمالي غزة

العدو، في الاشهر الأخيرة، آخذ في التغير بإزاء أعيننا. لم تعد توجد خلايا ارهابية، ولا عز الدين القسام. مرت هذه الايام. في شمالي القطاع تعمل «قيادة الشمال» من جيش حماس برئاسة احمد غندور. يخضع له قادة مع أطر تحت جيشية تُذكر كثيرا بالمليشيات والكتائب في مبناها. لم تزد خبرة المسلحين الفلسطينيين، لكن تحسن استغلال القوى. توجد قيادة وسيطرة، ويوجد اتصال، ويوجد حصر للجهد في مواجهة الجيش الاسرائيلي، ويوجد استخلاص للدروس. بمقابلة ذلك يوجد تحسن كمي للوسائل القتالية والمواد المتفجرة. قد يفضي مكوث الجيش الاسرائيلي في المنطقة لوقت طويل، مع شبكة ممتدة في حالة احتكاك مع العدو على نحو مبادر اليه ودائم، الى التسبب بمصابين اسرائيليين. هذا معطى يجب أخذه في الحسبان. أمس الاول أصيب في الجيش الاسرائيلي اثنان، وكلما تعمقت هذه العملية، فهناك احتمال أن يوجد مصابون آخرون. لا توجد مقابل الارهاب في القطاع عمليات معقمة بلا مصابين. لا يوجد شيء كهذا.

حُدِدت عملية «غيوم الخريف» في بيت حانون منذ البدء في عشرة ايام. إن نجاح «الدمج المناسب» مشروط بطول النفس الذي سيعطيه الساسة للجيش. من الصحيح الآن أن الجيش مستعد لعملية متواصلة في شمال القطاع، مع تركيزات قوات صغيرة منتشرة في خلايا من الارض كثيرة، تحت تغطية من الجو وتغطية القوات المدرعة. سنرى الثمرات وهي انخفاض كمية صواريخ القسام، اذا وجدت أصلا، بعد اسبوعين فقط. من هنا يمكن أن نستنتج أن العملية خطط لها أن تكون لزمن طويل.

اختبر الجيش في عملية «غيوم الخريف» تصورات قتالية في وجه مطلقي صواريخ القسام. كانوا في قيادة الجنوب راضين جدا عن النتائج، بيد أنه قد تم آنذاك خطأ مهني: لقد أفضت الصدمة في إثر اطلاق المدافع على مواطنين في بيت حانون الى فصل التماس مع العدو والانصراف عن مناطق الاطلاق. هنا أصيب واحد من المبادىء الحديدية لادارة معركة عسكرية هو مبدأ متابعة القتال. إن التوقف الذي قام به الجيش مرغما أحدث فرارا، اجتذب اليه مطلقي صواريخ القسام بقوة أكبر.

يريد الجيش في عملية «الدمج المناسب» أن يعود الى أخذ زمام المبادرة في الميدان والى استمرار محاربة صواريخ القسام على أساس دروس «غيوم الخريف». صادق المجلس الوزاري المصغر للجيش الاسرائيلي على أن يعمل لمواجهة مطلقي صواريخ القسام فقط. لم يُجز للجيش أن يدخل في عمليات مضادة لتهريب السلاح، يراها الجيش التهديد الرئيسي. إن علاج صاروخ القسام يعني عملا في مستوى الألوية. من اجل مواجهة تهريبات السلاح مواجهة أساسية الحديث عن فرق. ولا يُجيز المستوى السياسي في المرحلة الحالية للجيش أن يشغل نفسه بتجنيد الفرق.

تريد قيادة الجنوب، من جهتها، أن تُعد مع كل ذلك القوات لعملية واسعة، في حال احتاجوا اليها، أي استدعاءها وتدريبها من اجل عدم تكرار خزي لبنان. لا يحب المستوى السياسي، ورئيس الحكومة في الأساس، فكرة عملية كبيرة تجذبنا مرة اخرى الى احتلال القطاع. في اثناء زيارة ايهود اولمرت لواشنطن ثار فيه انطباع أنهم هناك ايضا لا يتحمسون للمواجهة، بل يفحصون عن امكانيات التحادث. اذا تجاوزنا ذلك، فانهم في محيط اولمرت معنيون «بحكومة الخبراء» الفلسطينية التي قد تمنح أبو مازن سلطة الاتيان بوقف لاطلاق النار. رغم وجود شك كبير في ديوان رئيس الحكومة في هذا الخيار، يمنحون أبو مازن فرصة. إن العملية العسكرية الواسعة قد تُفسد هذا الاحتمال الضئيل ايضا. العلة الأخيرة في القائمة لمعارضة عملية واسعة في القطاع هي التكلفة. وجد بحث تم في جهاز الأمن أن اسرائيل اذا سيطرت من جديد على القطاع فستضطر الى هدر مبالغ مالية طائلة من اجل الاهتمام بعيش مليوني فلسطيني لزمن طويل. فوق جميع التقديرات السياسية (الداخلية والخارجية) يسألون في القدس سؤالا بسيطا: ماذا سيحدث في اليوم الذي يتلو، بعد أن يدخل الجيش الاسرائيلي دخولا كثيفا ويحتل أجزاء واسعة من قطاع غزة؟ التقدير هو أن عملية كهذه ستورط اسرائيل في الساحة الدولية وفي الصعيد المحلي والعسكري ـ وهو شيء ينزع شهوة الجميع الى اتخاذ قرارات عسكرية بعيدة المدى. يؤجلون النهاية.

بيد أنهم في الجيش يُحذرون من أن علاج تهريبات السلاح حتمي، وأن كل تأجيل سيرفع السعر فقط. حدد الجيش منتصف الشتاء موعدا يجب عليه أن يكون مستعدا لمواجهة شاملة لحماس في القطاع. في تقدير مسؤولين كبار في الجيش، قد تتم هذه المواجهة قبل ذلك، بعد نحو شهر أو شهرين. من جهة الجيش، كل تأجيل لاتخاذ قرار الخروج في عملية كبيرة مضادة لتهريبات السلاح ستكلفنا ثمنا أبهظ. لرئيس «الشاباك» ورئيس الموساد ايضا رأي حازم جدا يتعلق بالحاجة الى القضاء على سلطة حماس.

اذا يرى المستوى السياسي أمام ناظريه امكانية التهدئة في المنطقة نتاج عمليات سياسية وتصرف الجيش بقوة ضئيلة نسبيا ـ أما المستوى العسكري، وفيه «الشاباك» والموساد، فيرى الكارثة التي تترصدنا من قبل غزة، متجاوزين الأفق السياسي لرابين الدولة. يقف رئيس الحكومة صلبا حيال المدافع الأمنية. في هذه الاثناء، قد ينهار كل هذا اذا تسبب صاروخ القسام المناوب وعندما يفعل في كارثة تضطر جميع اللاعبين الى اتخاذ قرارات تحت الضغط.

اليكس فيشمان
كاتب في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/11/23

خطط ومشاريع تحدثوا عنها قبل الانتخابات والآن لا يوجد لدينا الا الملفات الجنائية التي تحقق فيها الشرطة ومراقب الدولة

■ في الثالث من شهر نيسان (ابريل) 2000 أعلن المسؤولون في مكتب رئيس الوزراء آنذاك، ايهود باراك، عن بداية «الثورة الاجتماعية». وبذلك فان ولادة هذه الثورة الاجتماعية جاءت في أعقاب محادثات السلام الاولى مع سورية.

وفي احدى الصحف تم اقتباس عبارة لأحد كبار المسؤولين في مكتب رئيس الوزراء باراك، بأنها، أي اسرائيل، قلقة جدا من هذا التدهور الشعبي لسمعة الحكومة: «نحن نريد ايجاد أجواء نظيفة غير ملوثة بين اوساط الجمهور، ونحن لذلك مستعدون لاعداد مشاريع اقتصادية واجتماعية للتنفيذ».

وتلك القائمة ضمت بينها، العديد من المشاريع بما فيها، شق طرق كبيرة وعمل سكك حديدية للقطارات السريعة الى النقب، وانشاء «ميناء كبير»، ومعالجة كبيرة ومتزايدة في وضع المستوطنات على خط المواجهة في الشمال، وكذلك معالجة الاوضاع في الوسط العربي والبدوي، وما الى ذلك». هذه الثورة الكبيرة كان يمكن الحلم بها فقط وتذكرها في هذه الايام، دون التخوف من أن أحدا يقول لك انك نفذتها أو لم تنفذها.

هذه باختصار ولادة هذه الـ«أجندة»، التي وصلت باختصار الى هذه الايام لاقوال الحكومة في اسرائيل. فعندما يمتلئ جدول الاعمال السياسي للحكومة، وتحتل وسائل الاعلام العديد من هذه العبارات يكون الوضع كما نصفه ليس جديدا. وبدلا من ايديولوجية، أصبحنا نمتلك سيكولوجية. وهكذا ايضا فان حكومة اولمرت تستطيع أن تفكر وتصل الى نهاية الطرف الثاني.

والشخص الذي أعلن أنه لا توجد ولا ضرورة لوجود أجندة من هذا النوع، لم يتراجع عن بلورة أجندة خاصة به والاعلان عنها في كل نهاية اسبوع. يوم الجمعة، كما تعرفون، توجد في المدينة عناوين جديدة. والصحف اليومية، تزيد من عدد القراء في كل يوم جمعة، عن طريق التلميح والغمز للسياسيين الذين يريدون أن يوسعوا من مقدار شعبيتهم الاسبوعية.

اريبل شارون، مع مجموعة المزرعة الاعلامية الخاصة به، كان يعيش ما بين الجمعة والجمعة. وفي وسط الاسبوع كانت التحقيقات المؤلمة تدور، وفي نهاية الاسبوع، كانت هناك تنازلات مؤلمة. وكلما كانت وحدة التحقيقات الخاصة بأعمال الرشاوى تزداد حول موضوع «الجزيرة اليونانية» كانت العناوين تأخذ موقعا أكثر قوة وعمقا يوم الجمعة. وهكذا تخلى وابتعد شارون شيئا فشيئا عن تلك التحقيقات حول موضوع الجمعيات، وهكذا ايضا فصل اسرائيل نهائيا عن غزة. اولمرت، يواصل طريقه وتحقيقاته التي كانت قد بدأت مع شارون، ويواصل ايضا بتلك الطريقة الملتوية التي كانت لسلفه. فهو يختلس النظر من وراء ظهره لكي يرى أين وصلت الامور التي تلاحقه ولا يستطيع الفرار منها، والمراقب العام، والمستشار القانوني والمحققون في الشرطة، جميعهم يرون ذلك الدخان الذي ينبعث في كل اسبوع ويحطم ذلك الصمت الفريد من نوعه الذي ينبعث من مكان وآخر حسب الحاجة.

ان أجندة الانفصال، هكذا أعلن قبل اجراء الانتخابات الأخيرة، ستكون المهمة الأساسية لحركة كديما والحكومة، وذلك لكي ينفذها كخطوة ضرورية حسب الحاجة، وقام مؤخرا بضم ليبرمان الى الحكومة، لان الانطواء كما يبدو هو الشيء الوحيد الذي يُفسر لدى هذا الانسان هو فصل عرب اسرائيل عن الدولة وليس المناطق عن اسرائيل. أجندة الحرب ضد الجريمة. رئيس الوزراء اولمرت يتعهد بعقد اجتماع احتفالي كبير في بداية ولايته القادمة بأن الشرطة ستتغلب وتنظم جهازها بدقة أكبر لكي تحارب الجريمة المنظمة. والآن، فان الشيء المنظم الوحيد من ناحية السلطة هو مواصلة الهجمات على مراقب الدولة ومراقب الشرطة، والمحققين في هذه الجريمة الموجودين في قمة السلطة والنظام. ولكي ينفذ هذه الأجندة الفريدة من نوعها، عيّن اولمرت عمير بيرتس وزيرا للدفاع، وذلك لكي يستكمل المهمة بنجاح كبير في هذه الايام. إن وجهة اسرائيل الحقيقية الاجتماعية في هذه الايام هي في قيادة الجيش الاسرائيلي التي انقلبت رأسا على عقب. من ضابط الى آخر ومن عدو الى جنرال ومن جنرال الى نذب. فان المساوىء، ومهما كانت هذه المساوىء، لن تعود مجددا الى هذا العالم. إن الحاجة لتغيير النظام مهمة وضرورية كما هي الحاجة أن يكون منتخب اسرائيل في كرة القدم يريد تغيير طريقته في اللعب. ففي كلتا الحالتين نحن لن نعادل ولن نكون مساوين للاوروبيين. فهذه الثورة بدأت في عناوين الصحف يوم الجمعة صباحا وتنتهي في أخبار التلفاز يوم الجمعة مساء. وشخص ما ينسى توجيه السؤال الى الاحزاب ما اذا كانت مستعدة لذلك. صباح جيد وثورة جيدة وليلة جيدة. هكذا تسير حكومة اولمرت من ثورة الى اخرى، وهكذا هم مواطنو دولة اسرائيل، عاجلا أم آجلا، من ثورة في الحكم الى اخرى في النظام. اذا أردتم فهذه ليست أسطورة، هكذا قال في يوم من الايام الذي تخيل دولة اليهود وتصورها. اذا أردتم فهذه ليست أسطورة، هكذا يقول الآن من يتخيل دولة اليهود مستقبلا.

باروخ ليشم
كاتب في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/11/23